دیزیره سقال

کتاب اسماعیل

وبلیه

کتاب بابل

شعر

منشورات میرهم

كتاب اسماعيل

ويليه

كتاب بابل

ديزيره سقال

كتاب اسماعيل الجواد

ويليه

كتاب بابل

شعر

منشورات ميريم

منشورات ميريام

© ميغا هامو للإعلان والنشر

ص.ب: ٧٠١٦١ ـ انطلياس ـ لبنان

تلكس: LE ـ ٤٢٠٠٧

هاتف: ٤٠٦٤٩١(٠١) - ٤٥٠٠٦٢(٠١)

٤٢٩٢٨٤(٠١) - ٤١٤٩١٩(٠١)

الطبعة الأولى ـ ١٩٩١م

للمؤلف

شعر:

- رؤيا لتاريخ أبي عبد الله، الدار الصحفية العربية للأبحاث والنشر والتوزيع.
- كتاب الشاهد ويليه كتاب ملوك الطوائف، منشورات ميريم.
- كتاب العاشق، منشورات ميريم

نقد:

- بحوث اسلامية، منشورات ميريم
- الصرف وعلم الأصوات، منشورات ميريم.
- حركة الحداثة طروحها وإنجازاتها، منشورات ميريم.

يصدر قريباً:

- آفاق الكتابة والخلق الفني، منشورات ميريم.

كتاب إسماعيل

مدخل إلى إسماعيل

كان اسمه مسيَّجًا بِلَيْلَكِ المسافَهْ ـ
كان اسمه المسافَهْ.

تقول جَدّتي:
ما زالَ إسماعيلُ هائمًا في ذاتِهِ
عيناهُ لؤلؤٌ
وفي يديهِ شمسُهُ المخبَّأَهْ.
تقولُ جدّتي:
ما زالَ إسماعيلُ خيمةً
على سواقي الضوءِ والعبيرِ
في عينيهِ يُجْبَلُ المدى،
وفي يديه شمسُهُ.

تقولُ: مِنْ زمانْ
كان آسمُهُ مُسَيَّجًا بِلَيْلَكِ المسافَهْ ـ
كان آسْمُهُ المسافَهْ. . .

(٦ ـ ٧ ـ ١٩٨٨)

نشيد إسماعيل

يمشي الزمانُ الى الزمانِ. تَمالَكُوا أَنفاسَكُمْ.
يمشي الزمانُ... فلا وقوفَ. تَمالَكوا أَنفاسَكُمْ.
والليلُ يبتلعُ الزمانَ. تَمالَكوا أَنفاسَكُمْ.
ليلٌ لإسماعيلَ تفرغهُ ملامحهُ.
ليلٌ لشمسٍ أَقْفَلَتْ أنوارَها وتكوَّمَتْ.
ليلٌ لأحلامِ الزمانِ ولا زمانْ
والليلُ يَبْتلع الزمانْ...!

يا مَنْ يسافِرُ في هديرِ الليلِ، نَمْ!
عبثًا تفتِّشُ عن بقايانا على الجدرانِ. نَمْ!
عبثًا تَلوكُ كلامَنا.

عبثًا تفتِّشُ عن فدائيٍّ يشاءُ فيصنعُ التاريخَ. نَمْ!
عبثًا تُسافرُ في هديرِ الليلِ. نَمْ!
ليلٌ لزنبقةٍ يُلَوِّنُها الجُمانْ.
ليلٌ لأَقْنعةٍ وأَقنعةٍ وأقنعةٍ...
ليلٌ لرعدِ الصوتِ يصهلُ
في سيوفِ «الفتحِ» يعقبه دُخانْ.
ليلٌ لأزمانٍ تلمُّ جَراحَها
والبحرُ يَبْتَلعُ الزمانْ...!

كانَ آسْمُهُ في الشمس إسماعيلْ
(ويظلّ إسماعيلُ منكسِرًا).
كان آسْمُهُ في الرملِ إسماعيلْ
(ويظلّ إسماعيلُ من حَجر التَعَبْ
رملاً ومن غيمِ الرحيلْ...)
كان آسْمُهُ في الظلِّ إسماعيلْ
(سمّاه بعضُهُمُ خيامًا

أو رَحيلْ،
سمّاه بعضُهُمُ خُرافَهْ
عيناه رملٌ واليدانِ غمامةٌ شمطاءُ
والقدمانِ تيهٌ...)
كانَ آسْمُهُ مسيَّجًا بِلَيْلَكِ المسافَهْ ـ
كانَ آسمُهُ المسافَهْ...

يمشي
وتحضنهُ جراحُهْ...

عيناهُ أرصفةٌ من الطَوَفانِ
لم يُغْسَلْ
ولا غُسِلَتْ جراحُهْ!

مِنْ أينَ يبدأُ محوَ تاريخِ القبيلةِ
يبدأ التكوينَ؟
سَيْلٌ من مَجَرّاتٍ فناءٍ،

سَيْلُ أحصنةٍ وفي عينيهِ مَذْبَحُهُ
(تُراه يَشُجُّ بالنظرِ الكواكبَ،
يركبُ الحلمَ المصفَّحَ؟)

لا يَمُرُّ
ولا يُراوِحُ -
كاد يُتْلِفُهُ الكلامُ.
عَصْرٌ من الطَوَفانِ يَحْفُرُهُ
وَيَحْفُرُهُ الظلامُ.

أمشي
وكلُّ خطاي شَوْكٌ في الرمالْ.

أمشي
وبيتي نائمُ
(قَدَمايَ دربٌ
والرّمالُ بقيَّةٌ...)

أمشي
أمامَ رياحنا
والريحُ خلفي . . .

(مَنْ أنا؟)

لكنني طيفُ البقيَّةِ
وَهْيَ تحلمُ في الحُطامْ . . .
أمحو الزمانَ ـ ولا زمانَ ـ
يكادُ يُتْلفني الكلامْ!

كَفَنٌ، وتَثْقُبُ كلَّ جُمْجُمَةٍ أَثيرَ الشرقِ ـ قيلَ: تجيئُهُ
نارٌ وترفعُهُ الغيومْ.
ودَّعْتُهُ
لكنني أمضَيْتُ عمري صورةً مجهولةً . . .
وَدَّعْتُهُ

وَمَضَيْتُ في عينيهِ
لَسْتُ بُمنْتَمٍ
لكنني قَسَّمْتُ جسمي للتخومْ:
بَشَرٌ يُكَوِّرُ ربَّه درعًا لطائفةٍ،
قزمٌ تَأَلَّهَ
وآحْتَمى بالأرضِ يرفعُها سماءً...

ومضى...
ومضيتُ في عينيه تنبذني القبائِلْ:
يَمْشي وعَيناهُ نجومٌ
والمَراراتُ وِشاحُهْ
يَمْشي
وتحضُنُهُ جِراحُهْ...

في قلبِهِ فَوَرانُ أَجيالٍ
وثمَّةَ غيبةٌ مجهولةٌ... (شعبٌ يمرُّ ويمسح التاريخَ / كلُّ
قبيلةٍ

وجهي وكلُّ مرارةٍ
وجهي وكلُّ خطيئةٍ / وطنٌ يَمُرُّ. . .)
حتى الصلاةُ تصيرُ أحذيةً وَنَعْلاً!
بين عيني والفضاءِ مرارةٌ
وعلى الصدى صمتٌ أَمَرُّ. . .

وَدَّعْتُهُ

فإذا بهِ خَطَواتيَ الأولى
إذا بضميرِهِ صوتي وأحلامي. . .
وكنتَ الشرقَ يخبط في مهازِلِهِ ـ
غَدَوْتُ الشرقَ يخبط في مهازِلِهِ:

بقايا
من حطام الدهرِ
تَحْرسُ ما دَعَتْهُ موطناً،
وترفعُ في البِطاحِ خِيامَهَا. . . وجِمالَها. . .

وتضيع بينَ الرملِ . . . شيئًا كالرمالِ!
مضى . . .
ومضيتُ في عينيهِ تنبذني القبائِلْ /
بيني وبين الأرضِ أعيادٌ،
رسائِلْ .
بيني وبينَ مداخلِ الآتي مفازاتٌ،
ملوكُ طوائفٍ ـ

لم يبقَ من جسدي سوى اللغةِ القتيلْ .
لم يبقَ من حَجر الجناحِ سوى الحَجرْ .
لم يبقَ من وطني سوى لفظٍ
وصحراءٍ يضيعُ بها الدَّليلْ . . .

ويمرُّ إسماعيلُ في وطنٍ / دماهُ غيمةٌ
ويداه حقلٌ للمَسافَهْ . . .
ويمرُّ من أجلِ العصور تجمَّعَتْ في دمعةٍ
ورمَتْ ملامِحَها الخُرافَهْ .

ويمرُّ إسماعيلُ مثلَ خرافةٍ
ويقولُ لِلأَرضِ : آتْبَعيني.
(لا يمرّ ولا يُراوِحُ /
إنه زمنُ الهَبَاءِ السَّرمَدِيُّ)
يمرّ إسماعيلُ مثلَ خرافةٍ عربيَّةٍ،
(لم يبقَ منه سواهُ) يخرجُ من لهاثِ الشِّعْرِ
مختلفًا، كثيرًا،
والسماءُ قرارهُ
والحلمُ يُسْرِجُهُ حصانْ
ويطير فوقَ الليلِ، يحزم موجه في حُلْمِهِ
والليلُ يبتلع الزمانْ...

يا مَنْ يسافرُ فوق جرح الليلِ
إسماعيلُ موجُ الليلِ
إسماعيلُ لونُ الليلِ
إسماعيلُ جرحُ الليلْ...

يا مَنْ يَقُدُّ الرعدَ من نزفِ الغمامْ
أُخْرُجْ من الكتب العتيقةِ واحترقْ
أُخرُجْ من التوراةِ، فُضَّ بكارةَ الأرضِ،
آحترِقْ...
(نجمٌ لإسماعيلَ يُحْرِق في الظلامْ
أسماله، ويغور في الرؤيا
وفي الرؤيا ينامْ.)
أُخرُجْ من الزمن المُميتِ، وجُسَّ نبضَ الرعدِ
وآحترقِ... آحترقْ...

أمشي
وتحضنني الجراحُ.
مُتَوَغِّلاً في غيهب الرؤيا
يَحُطّ بيَ الجناحُ
في كوكب الدمِ / (مَنْ يُكَوِّنُ من جديدٍ
بآسمِ هذا الشَرقِ،

باسمكَ؟) هل يصير الرملُ عينًا للمياهِ؟
وَجَدْتُني أمشي إليكَ
أصيحُ: «كُنْ فَيكونَ»،
أحْتَرِفُ المسافةَ والمسافةُ لَيْلَكُ...

يمشي
وتحضنه الجراحُ /
جِراحُهُ سَفَرٌ إلى سِفْرِ الدُّخولِ،
جِراحُهُ سَوْطٌ يَحُزُّ ظهورَ أبناءِ الأفاعي،
يَصْدَع التلمودَ
بآسمِ الشرقِ،
بآسمِ عروبةٍ أصفى من التكوينِ:
«كُنْ فيكونَ».
إسماعيلُ... إسماعيلُ...
لُمَّ حطامكَ المُمْتَدَّ وادخلني
ولُمَّ الوعدَ في ضَرباتِ صاعقةٍ

تُلَخِّصُ نهضةً عربيّةً من قلب هذا الشرقِ.
إسماعيلُ، لُمَّ حطامَكَ الممتدَّ وآدخلْني
وَمَهِّدْ للمدى العربيِّ أغنيةَ الرجوعِ
(على عيونكَ وردةٌ
والليلُ يحبلُ بالغيومِ -
غيومُكَ الجمرُ المُؤَجَّجُ فآحْتَرِقْ...
أعصابُكَ الجمرُ المُؤَجَّجُ فآحتَرِقْ...
وكنِ الهبوبَ،
كنِ الذي سيكونُ يا آسماعيلُ
وآحترقِ... آحترِقْ...)
بآسم العروبةِ ينحني
وجراحُهُ سَفَرٌ إلى سِفْرِ الدّخولِ،
جِراحُهُ سَوْطٌ يَحُزّ ظهورَ أبناءِ الأفاعي،
يَصْدَعُ التّلمودَ
بآسمِ الشَّرْقِ،
بآسمِ الأرضِ تخرجُ من ضباب القبرِ،

تحترفُ التواصُلَ.
يا آلذي مِنْ جمرهِ جَبَلَ الكواكبَ والنجومَ
يصيرُ وجهُكَ كلَّ وجهٍ،
ويصيرُ صوتُكَ كلَّ صوتٍ
باسم هذي ارضِ لُمَّ حطامَكَ المُمْتَدَّ وآدخلني
ولُمَّ الوعدَ في ضرباتِ صاعقةٍ
تُلَخّصُ نهضةً عربيَّةً من قلبِ هذا الشرقِ،
بآسمِ الوعدِ،
بآسمِ الحلمِ،
بآسمِ الرّعدِ يجتاحُ المكانْ،
ويظلُّ إسماعيلُ نبضًا في النجومِ
يُلخّص الدنيا،
ويخترع الزمانْ،
ويظلّ إسماعيلُ «فتحًا»
فوقَ خيل البرقِ
يحترفُ الحياةَ ولا زمانْ...

(١٤ - ٧ - ١٩٨٨)

مرثية إسماعيل

- ١ -

داخلاً في لعنةِ الوقتِ
وعيناهُ حطامٌ،
لَفَظَ التاريخَ في غربتهِ
والغربُ وحشٌ وظلامُ . . .

مِنْ طَعْمَةِ الأرضِ المريرةِ يبتدي
وتميدُ تحتَ الأرضِ شرنقةُ الدجى . . .
أَيَمُرُّ؟ /

كان يمرُّ في غَسَقٍ يطرّزه الضياعْ
وجبينُهُ المجروحُ يمتشقُ الحضارةَ
والحضارةُ خِرقَةٌ...
أيَمرُّ؟ /

كان يَمُرُّ في أشيائِهِ
خَرِبًا، بَليدا...
يُهدي إلى عين الزمانِ زمانَهُ وعيونَهُ،
وإلى الإشاراتِ التي كانَتْ تُميِّزُهُ صَديدا،
ويفيض في رملِ المدى رملاً
وبعضَ عشيَّةٍ مكسورةٍ /
عَرَقٌ... ويحترقُ الغَضَبْ...
عَرَقٌ... وينطفئُ اللَّهَبْ...
من طعمةِ الأرضِ المريرةِ يبتدي،
من طعمةِ الوقتِ الكسيرِ
وطاقةِ الهذيانِ:
لا أرضٌ تَمُرُّ بطعمةِ الدّمِ

لا بِلادُ؛
والموتُ تاريخٌ مُعادُ. . . !

- ٢ -

في الليل،
حين تصير شمسُ الأرضِ فحمًا،
تُهْجَرُ الخَطَواتُ في الدربِ البَوارْ
ويصيرُ إسماعيلُ حُلْمًا
في عيونِ الشمسِ /
أُعطي للتُّخُومِ لهيبَهُ
وأُوَزِّعُ النَّبَضاتِ في هَوْلِ الحصارْ. . .
في الليلِ
تخترعُ الحَضارةُ غُرْبَةً عَرَبيَّةً
ويغيبُ سيفُ «الفتح» تحت جليدهِ،
وتَجُفُّ أعصابُ البِذارْ -
غَرْبٌ

وعاصِفَةٌ مِنَ الدُّوَلِ السَّبايا
تمشي إلى أَلَقِ القصائِدِ،
تُفْرِغُ الخَطَواتِ من خَطَواتِها:
وطني المَرايا،
وطني خِيامُ الأنبياءِ تَطايَرَتْ فيهِ شَظايا.
مِلْحٌ أنا،
حَجَرٌ تُفَتِّتُهُ القضايا
وَيَمُرُّ تحتَ ركامِهِ الخاوي
ويُفْجِعُهُ الرُّكامُ -
مِنْ أينَ نبني العَرْشَ مُخْضرًّا
وكلُّ عُروشِنا بَشَرٌ حُطامُ؟!

- ٣ -

في الفجرِ،
قبلَ رمادِنا،

قبلَ السُّدودِ وقبلَ تاريخ الصحاري،
كانت رياحُ الوَعْرِ تسكُنُنا،
وَتَحْفُرُ نارُنا أسماءَنا،
ويَضُجُّ في أعصابنا عَصَبُ البراري . . .
أُعطيكَ هذا القلبَ يَفْتَحُ خَطْوَهُ جَمْرًا
وَيَفْتَحُ دَرْبَه جمرًا
ويغرقُ في متاهاتِ الجِمارِ،
أُعطيكَ هذا الفجرَ
سُنبلةَ الحقولِ وطعمةَ الأصواتِ ـ
إسماعيلُ، أُهدي الوقتَ للهَذَيانِ؛
شُدَّ عليهِ أَحْلامَ الرَّصاصِ
وشُدَّ هذا الصمتَ
وَلْيَكُنِ الغروبُ
أَعْلى مِنَ الهَذَيانِ،
وَلْتَكُنِ الذنوبُ
هوجاءَ تَصْدَعُ وَقْتَنا المُنْهارَ؛

شُدَّ على الإشارةِ قبلةً وَثَنيَّةً،
شُدَّ الرّمادَ على الرّمادِ
فَيَثْقُبَ التاريخَ من ضَجَرٍ
وينطفئَ اللهَبْ.
سقط السديمُ على أساطير السنينَ
وهَدَّ أَرصفةِ الغَضَبْ...

- ٤ -

الأرضُ سردابٌ من الصَّبْرِ المُقَدَّدِ في العروقِ -
(أَمَشَيْتَ؟) كانَتْ حَوْلَكَ الزفراتُ تَمشي
والرياحُ قصيدةً - (أَمَشَيْتَ؟)
كُنْتُ أراكَ تمشي في البروقِ
وتُجَمِّعُ الغَيْمَ المُنَدّى
غَيْرَ كَفٍّ من لهيبِ الشمسِ
يهوي في الرِّمالْ

ويعودُ إعصارًا يُزَوْبِعُ ما تَجَمَّعَ
مِنْ غُيومِ الغَيْثِ
في شَبَقِ الرجالْ ـ
الأرضُ سردابٌ وفي خطواتِهِ عَفَنُ الدروبِ . . .
(مَشَيْتَ
تَحْتَ عريشةِ الليلِ ،
آشْتَهَيْتَ الخَمْرَ، هل كان العِنَبْ
عَرْشًا لزهوِ الليلِ في عُرْسِ المحالْ؟

أَمَشَيْتَ؟ لكنَّ الخُطى
رملٌ . . .
ولونَ الأرضِ رملٌ . . .
والغَضَبْ
رملٌ ورملٌ . . . ورمالْ . . .)

- ٥ -

في الليلِ
كان رمادُهُ دربًا
وكان اللَّيْلَكُ المجروحُ تاريخًا
وكان الوقتُ فحمًا / لَمْ يَعُدْ
يمشي إليهِ سوى ضميرٍ ماحِلٍ.
في الليلِ
حين يصيرُ وجهِ الغرب ثُقْبًا في السديمِ
ينامُ وجهي في سطور النّصِّ -
إسماعيلُ، هذي الأرضُ تيهٌ والرّياحْ
عادةٌ تزني وأحلامٌ تُباحْ...
هل كانَ في خَطَواتِهِ إلّا شعوبٌ
هَدّها طولُ النُّباحْ؟

- ٦ -

مِلْحُ

وكأسٌ من تراب الملحِ .
مفتاحٌ يدور ولا يدورُ:
يظلّ بابُ الوقتِ مُنْقَفِلاً
ولونُ الوقتِ مُنْقَفِلاً ـ
يَمُرّ على الترابِ
ولا يَمُرُّ:
همسٌ
وأعصابٌ مُحَجَّرَةٌ
وأزمانٌ تَكُرُّ

ويظلُّ بابُ الوقتِ منقفِلاً
وأحلامُ اللهيبِ شَظايا
ويظلّ إسماعيلُ جرحًا في الضميرِ
تَلُفُّهُ خِرَقٌ، سَبايا،
وَيَظَلُّ وجه الشرقِ مُنْقَفِلاً
تدوسُ جبينَه قَدَمُ البغايا . . .

(شباط ١٩٩١)

كتاب بابل

«جيل يمضي وجيل يأتي والأرض قائمةٌ مدى الدهر.»

(سفر الجامعة)

«من يدري ما هو خير للبشر في الحياة مدّةَ أيام حياتهم الباطلة التي يقضونها كالظلّ ومن يخبر البشر بما يكون فيما بعد تحت الشمس؟»

(سفر الجامعة)

١ ـ لوحات

ـ لوحة ـ

ـ ١ ـ

بين وجهها والفضاء
فراغٌ
وحطامُ الفراغ . . .

ـ ٢ ـ

وجه يَنْفَتِحُ على صحراء المدى
والأفقُ رملٌ
يرقد فوقَ الرَّمل .

- ٣ -

شعبٌ سَرابيّ
في وطنٍ سَرابِيّ،
والأملُ ظِلٌّ غريب
في هجير الصحراء. . .

- ٤ -

«جميعُ الأمورِ تُعيي فلا يستطيع الانسانُ
أَنْ يشرحَها. . .
ما كان فهو الذي سيكون. . .»
أرضٌ عصيَّةٌ كالدمعة،
وطنٌ كالزئبق،

ناجَيْتُ قلبي
فإذا به مُنْقَفِل كالدائرة -
لماذا لماذا لا تُؤْمنين بالأنْبياء
يا بابلَ الأرض الخرابْ؟

- ٥ -

باطلٌ هذا الضباب المُداجي،
باطلٌ هذا التراثُ السرابيّ من أنسجة النور،
باطلٌ هذا البرجُ السَّحيق
من عُصارَةِ الألم والدم والدموع...

- ٦ -

«ناجَيْتُ قلبي قائلاً:
هَلُمَّ فَأَبْلُوَكَ بالفرح،
وإذا هذا أيضًا باطل...»

أواه!
«ليس تحت الشمس شيء جديد...»

- لوحة -

من قال: بين ظلّ الوطن والوطن
أعصارٌ أو قفزة؟
«للحَربِ وقتٌ
وللصُّلحِ وقت»؟

كان بيني وبينَ المدى
بابِل
وتاريخٌ من السَّراب...
كانَ بيني وبيني
تراثٌ مَن الطوائف
وهذا الوَطن الذي لا يقوم!

ـ لوحة ـ

«التَفَتُّ إلى جميع أَعمالي التي عملت يداي
فإذا الجميع باطلٌ وكآبةٌ للروح»!

بابلُ، بابل،
كيف، ونحنُ فيكِ، الخروج؟

٢ ـ قصيدة بابل
(أو رحلة جلعاد)

ـ ١ ـ

مبحرٌ في ضجيجِ السكينةِ
أحملُ وجهيَ عارًا
على كتلةٍ من ترابٍ
تُسَمّى وَطَنْ...
بيننا الصَّلْبُ
والقبرُ
والحَجر المُستكينِ الذي لا يُزاحُ
وكلُّ فضاء الكَفَنْ...
مُبْحرٌ في الجليد المُؤَصِّلِ نحوي

لَعَلِّيَ أكشط عن جَسَدي
وطنًا غارقًا
غارقًا
في العَفَنْ. . . !

- ٢ -

هادئ. . .
في عيونيَ تيهٌ
وفي الدربِ يحتشدُ التيهُ -

كيفَ إذًا
تتجمَّعُ في قدمي الدربُ،
أخرجُ من غابة الأرزِ
نصفَ إلهٍ
فأبتكرَ الملحمَهْ؟

هادئٌ . . .
والمدى مستحيلٌ كدائرةٍ -
كيف تنتفحُ الدائرَهْ؟
كيف أخرجُ من بابلٍ
لأعودَ إليها جديدًا
وبابلُ عيناىَ ،
بابلُ في قَدَري غائرَهْ؟

- ٣ -

كان جلعادُ ملحَ الثرى
والثرى رَطِبٌ،
يُخْرِجُ الفطرَ من كلّ برعُمَةٍ . . .

(أَخْلَعُ الآنَ وجهي
وأطمرهُ في الجليدِ آلجليدْ . . .
أخلع الذاكِرَهْ
وأعودُ جنينًا إلى السِّمْتِ

أسترجِعُ الذاكِرَهْ ـ
هكذا أفتح الدائرَهْ!)

ولكنه الوقتُ
يضرب وجهَ السديم بخافرِهِ
ويَقُدّ غبارَ الولادةِ عن طِرْحِهِ
فيكونُ الوطنْ
شامخًا كالرياء الذي اخترقَ الشَمسَ
وانحلَّ في الأقنعَهْ
وَجْهَنا
وسنا الذاكِرَهْ. . .

(أخلعُ الآنَ وجهي
وأطمره في الجليد الجليدْ. . .)
داخلٌ في الغبارِ
وكلُّ مرارتِهِ
أنّه. . . لا يريدْ!)

- ٤ -

قبلةٌ من جليدٍ
على شعلةٍ من لهيبِ الضياءِ
وعشتارُ خارطةٌ للمدى
(كفُّها مَطَرٌ
قَدَماها سديمٌ طويلْ. . .
وفي العين أرجوحةٌ
للحنين الثقيلْ. . .)

- ٥ -

بابلُ اشتَعَلَتْ
(هل رأيتَ لهيبًا يُجَلِّدُ أضلاعَنا
في صحارى الصَّدى؟)
بابلُ اشتَعَلَتْ:
كيف ينفجر الزَّرْعُ من رَحِمِ الأَرضِ؟
كيف يصير المدى
لَهَبًا واحتراقًا؟

ولكنّه الوقتُ
يضربُ وجهَ السديم بحافرِهِ
ويطيرُ...

(أَتَسْكُنُني النارُ؟)
يحترف الجسمُ رحلتَهُ
في الضباب المسمّى وَطَنْ.
مبحرٌ في الجليدِ المُؤَصِّلِ
يكشطُ عنه الكَفَنْ،
مبحرٌ... مبحِرٌ...
أُفْقُهُ صِهْلَةُ النارِ
تنفر من وطنٍ
غارقٍ
غارقٍ
في العَفَنْ...!

- ٦ -

إنَّه الآن يبتكرُ الملحَمَهْ /
يخرجُ الأُفْقُ من غابة الأرزِ
مثلَ جنينٍ
وينزفُ وحشُ المسافةِ -
(عيناه ملحُ
وبينَ أصابعه الزّمنُ المُرُّ،
لكنَّه واقفٌ يأكلُ الوقتَ
والوطنَ المتفكّكَ / هلْ
يتقدَّم منه
أَمَ أنَّ عَناءَ الزَّمانِ المسافِرِ
يُقفِل حَوْلَ الدروبِ المدى؟)

إنَّه الآن يبتكرُ الملحَمَهْ
ويمرّ من المَوْتِ عبرَ بحار الحديد المُحَمّى
إلى شَبَقٍ مثل وَهْم الخلودِ -

يَمُرّ من الموتِ عبر المعاناةِ،
يحلم بالكرزِ المتوحِّشِ،
بالشمسِ وَهْوَ يعيدُ إليها الملامحَ
يصنعُ منها عصيرَ الخلودِ
ويحلم بالأرضِ ثَدْيًا وطفلاً
ومهدًا يغنّي به عاشقانِ. . .

ولكنه الوقتُ
يضربُ قلبَ السديم بحافرهِ
ويُعيدُ الولادة نحو المعاناةِ،
يختصرُ الحُلْمَ /

(هل يُخْرِج الشِّعْرُ مَمْلَكَةَ الكونِ؟
أمْ هل يَعودُ الهَبَاءْ
وطنًا للرّحيلِ
وعُرْسَ فناءْ؟)

- ٧ -

بابلُ تقرعُ الفِكْرَ -

(هل يوقظ الليلُ نارًا؟)

يمرّ الصدى فوقَ وجهي

كَلَسْعِ الحديد الذي أَمْطَرَتْهُ المعاناةُ

يخترعُ العصرُ

أرصفةً للرّياءِ

ووجهي على النارِ يمسحها بالندامةِ:

بابلُ جرحي

وبابلُ عمرٌ تَغَمَّسَ بالكُفْر والموتِ،

بابلُ هذا الفضاءُ الذي طرَّزَتْهُ الغرابات،

بابلُ مزرعةُ الطَّيْفِ،

بابلُ عُمْرُ السرابِ وقد أَجَّجَتْهُ الرّمالُ /

تُرى

يوقظُ الليلُ نارًا

وينتحرُ الوقتُ في لَيْلِهِ السَّرْمَدِيِّ؟

أَعودُ إلى الدربِ
والدربُ مُحْرِقَةٌ مثلَ حُلْمٍ طويلٍ
ورائعةٌ مثلَ حُلْمٍ طويلٍ
وملحمةُ الوقتِ تجلدني /

إنني موغلٌ في فضاءِ الترابْ
في جذور النباتِ
أُفَتّشُ عن عشبةٍ
تتحدّى سرابَ الغيابْ. . .

- ٨ -

كيف ينحدرُ الوقتُ من قصره المستحيلِ
إليَّ
ويلثمُ وجهي،
ويركضُ خلفي إلى وطنٍ كالسَّرابِ
تَخَلّى عن الأرضِ؟ / كيفَ

أُعيدُ الخروجَ إلى بابهِ المُتَصَدِّعِ
أو
أزرعُ الوقتَ في صدرِ مِنْجَلْ،
وأَحْتَرِفُ النار؟ / كيفَ
أُديمُ التَّوَهُّجَ، بابلُ،
والعَصْفَ والهدمَ؟ -

هذا الحصارْ
يُلازِمُ قلبكِ / والموتُ يفتتحُ العَصْرَ...
هذا الحَصارْ
جَمَلٌ...
كيفَ؟ / لا يفتح الوقتَ غَيْرُكَ،
لا يقرأُ الزّمنَ المُرَّ غيرُكَ،
لا يُشْعِلُ البرقَ غيرُكَ،
هذا الحصارْ
بقايا الزمانِ الذي ماتَ

والسرُّ سِرّكَ ـ
لا يكسرُ الأسْرَ غَيْرُكَ
يا آلخارجَ من تاريخِ الصَدَإِ المركومِ
إلى تاريخِ البَشَرِ...
لَهَبُ الآتي يرشح من كَفَّيْكَ:
تُقَوَّضُ مَهْزَلَةُ القَدَرِ
ويُقَوَّضُ تاريخُ البَشَرِ...
يا الخارجَ من أحشاءِ الزَّهْرِ
ومن أَنفاسِ الزَّهْرِ
ومن لَوْنِ الزَّهَرِ
سَمِّ الأشياءَ
وعلِّمْنا الأَسْماءَ
وكُنْ ما ليس يكونُ،
كُنْ رِعشةَ هذا الكونِ المَيْتِ،
كُنِ آلصّارِيَ
كُنْ ما ليس يَكونُ

برقًا يحملهُ في حُلْمِ الأرضِ جنونُ،
وكُنِ الكونَ الأزليَّ،
كنِ الأعصارَ يُزَوْبع أفلاكَ الأربابِ
ويخلقُ أربابًا أخرى
طَرّزها فجرٌ مكنونُ...

- ٩ -

يمشي...
قدماه تنبتُ في الرملِ شموسًا
وبحيراتٍ
وربيعًا أخضرَ /
يمشي...
جَسَدًا يغرسُ في الرَّملِ زهورًا وأقاحي
وصباحًا بكرًا
لم تلثم وَجْنَتَه شمسُ صباحِ...

يمشي . . .
قدماه فوقَ الأرضِ
صفيرُ رِياحِ . . .

(١٩٩٠)

فهـــرس

كتاب اسماعيل:

مدخل الى اسماعيل - ٧
نشيد إسماعيل - ٩
مرثيّة إسماعيل - ١٢

كتاب بابل:

١ - لوحات **٣٣**
لوحة - ٣٣
لوحة - ٣٦
لوحة - ٣٧
٢ - قصيدة بابل (أو رحلة جلعاد) **٣٨**
الفهرس - ٥٢

الشاعر في سطور

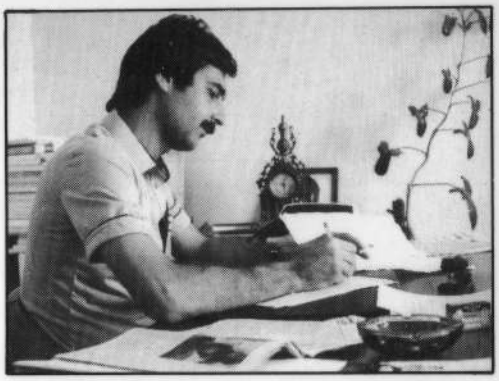

من مواليد ساقية المسك [قضاء المتن] ١٩٥٨. تدرّج في دروسه حتى بلغ الجامعة؛ وتخرّج من الجامعة اللبنانية يحمل شهادة «الدكتوراه اللبنانية» (وهي معادل دكتوراه دولة ـ فئة أولى) في نيسان ١٩٨٨، وكانت هذه أول شهادة دكتوراه تمنحها الجامعة اللبنانية لطالب فيها. مارس التدريس الثانوي، وعمل في الصحافة زمنًا، وهو الآن مدرّس في الجامعة اللبنانية (الأدب وقواعد اللغة العربية).

نشر أبحاثًا عديدة وقصائد في عدد من الصحف المعروفة في العالم العربي كالنهار (اللبنانية) والجمهورية (العراقية) والخليج (الشارقة) والمجلات كمجلة الباحث، والفكر العربي المعاصر، ومواقف، وكتابات معاصرة وغيرها. وله عدد من المؤلّفات المطبوعة في الشعر والنقد، وغيرها سيصدر قريبًا